أحبُّ الناس إلى اللهِ أنفعُهُم للناس

إخوة الإيمان:

كَانَ النبيُ أَنْفَعَ الْخَلْقِ لِلْخَلْقِ، فَاقْتَدَى بِهِ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالصِّدْقِ، فأقول وبالله أستعين: أحبُّ الناس إلى اللهِ أنفعُهُم للناس، فقد روى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم.

أيها المؤمنون:

اعلموا أنه لا قيمة للحياة بدون فعل الخير، ولا نجاة للعبد في الآخرة بلا فعل الخير، ولا راحة نفسية ولا سعادة قلبية للعبد دون فعله الخير، ولا دخول للجنة دون فعل الخير، ولا فوز برضوان الله دون فعل الخير، ولا نور في القلب ولا في القبر ولا على الصراط دون فعل الخير، وإن من كرم الله سبحانه وتعالى أن فتح لعباده كثيرًا من أبواب الخير، وحثَّهم على المسارعة إليها، والتسابُق إليها في كل وقتٍ وحين، لما يترتبُ عليها بإذن الله تعالى من تحصيل الحسنات، ورفعة الدرجات، ومحو الخطيئات؛ ولذا يقول ربنا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ويقول سبحانه: فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَمَنْ يَسْعَى لِتَقْدِيمِ الْخَيْرِ إِلَى الْغَيْرِ، فهو جُزْءٌ لا يَتَجَزَّأُ مِنْ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وكان مِن دعاءِ نبيّنا صلَّى اللهُ عليه وسلم: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ [رواه أحمد] ففعل الخيرات به تكون أيها الإنسان من المفلحين، وبغيره تكون من الخائبين، ومن منا لا يحب أن يكون من المفلحين والفائزين والرابحين والرافعين رؤوسهم والناجين؟ فإذا أردت ذلك فربُك سبحانه يدلك على الطريق، إنها طريق فعل الخيراتِ والإكثارِ من فعله يقول ربنا: وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَفِي الحديث: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيُضَاعِفُ لَهُ أَجْرَهُ وَثَوَابَهُ، يقول ربنا: لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، وفعل الخير من التقوى، وَاعلَمُوا أَنَّ نِعَمَ اللهِ عَلَيْنَا لا تُحْصَى، وَآلاءَهُ لا تُعَدُّ وَلا تُسْتَقْصَى، فَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وقابلوها بالشكر لتدوم، وذلك من فعل الخير، وفعل الخيرات يعلمه الله لا حاجة أن تذكره للناس، قالَ الله تَعَالَى: وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ، وقال: وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، ففعل الخيرات مقبول مبارَكٌ فيه، مضاعَف، مأجور عليه قلّ أم كثر، صغُر الخير أم عظم، فافعل الخير ولوكان حرفا تقوله، أو درهماً تتصدق به، أو يَدَ عونٍ تمدها لغيرك، أو بسمة تُظهرها، أو خطوة تخطوها، أو أصغر من ذلك أو أكبر، كله يا عبد الله ستجده في الكتاب مسطورا، وعند ربك مأجورا، لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعرُوفِ شَيئاً وَلَوْ أنْ تَلقَى أخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ، اقرأ معي تلك الآية التي لا نظير لها ولا قبيل، يقول فيها ربك سبحانه: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ.....، ولذلك سمى الله تعالى البخل مرضا لأن البخيل لا يفعل الخير، يقول الله تعالى: وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، نَعَمْ، فَالشُّحُّ نَابِعٌ مِنَ الأَنَانِيَّةِ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ تُنَافِي دَعْوَةَ الإِسْلامِ إِلَى مَدِّ يَدِ الْخَيْرِ إِلَى الْغَيْرِ، ذَلِكَ أَنَّ فِعْلَ الْخَيْرِ وَكَفَّ الشَّرِّ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْمُتَّقِينَ، والبخل صفة المنافقين، فَفِعْلُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ قُرْبَةٌ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى الرَّبِّ الْمَعْبُودِ؛ شَرِيطَةَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَمَلُ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ ، لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا، فَاللهُ تَعَالَى عِنْدَهُ خَزَائِنُ الْخَيْرِ، يُثِيبُ عَلَى الْخَيْرِ الْقَلِيلِ الأَجْرَ الْعَظِيمَ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مِغْلاقًا لِلشَّرِّ، وَفِي الأَثَرِ أَنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، لِذَلِكَ فَفَاعِلُ الْخَيْرِ وَصَانِعُ الْمَعْرُوفِ لا يُخْزِيهِ اللهُ أَبَدًا، فَرَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي غَارِ حِرَاءٍ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَزِعًا، خائفاً، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ؛ بَلْ إِنَّ فَاعِلَ الْخَيْرِ لَيُدْرِكُ بِعَمَلِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، إِنَّ مَدَّ يَدَ الْعَوْنِ وَتَقْدِيمَ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ يَتَأَكَّدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ زَمَنٍ مَضَى؛ حَيْثُ مَصَالِحُ الْخَلْقِ مُتَشَابِكَةٌ، وَقَضَاءُ حَوَائِجِهِمْ مَوْقُوفٌ عَلَى جِهَاتٍ مِنْ شَأْنِهَا الْقِيَامُ عَلَى خِدْمَةِ النَّاسِ، فَمَا أَجْمَلَ أَنْ يَتَذَكَّرَ أُولَئِكَ الْعَامِلُونَ فِي جِهَاتٍ خيريّةٍ، أن الله وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ، ولفعل الخيرات فوائد متعددة وثمرات يجنيها العبدُ في دنياه وآخرته ومنها: أن فعل الخير عنوانٌ للإيمان الصحيح والعقيدة السليمة: يقول الله تعالى: لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ، وقد يعمل المؤمن خيرا يسيرا سهلاً لا يظن أنه سيبلغ به المنازل العليا، ولكنه يبلغ به بفضل الله وكرمه منازل عالية، ففي الصحيح عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، أنه قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ فِي شوكةِ شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَرِيقِ كَانَتْ تُؤذِي المارينَ، الإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بِضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ.

خطبة الجمعة ليوم 26 أبريل 2024 م